

إحياء علوم الدين

ذميم إلا وصاحب العز والكبر مضطر إليه ليحفظ عزه وما من خلق محمود إلا وهو عاجز عنه خوفاً من أن يفوته عزه فمن هذا لم يدخل الجنة من في قلبه مثقال حبة منه .
والأخلاق الذميمة متلازمة والبعض منها داع إلى البعض لا محالة .

وشر أنواع الكبر ما يمنع من استفادة العلم وقبول الحق والانقياد له وفيه وردت الآيات التي فيها ذم الكبر والمتكبرين قال الله تعالى والملائكة باسطوا أيديهم إلى قوله وكنتم عن آياته تستكبرون ثم قال ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين ثم أخبر أن أشد أهل النار عذاباً أشدتهم عتيماً على الله تعالى فقال ثم لتنزعن من كل شيعة أيةهم أشد على الرحمن عتيماً وقال تعالى فالذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة وهم مستكبرون وقال الله يقول الذين استضعفوا للذين استكروا لولا أنتم لكننا مؤمنين وقال تعالى إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين وقال تعالى سأصرف عن آياتي الذين يتکبرون في الأرض بغير الحق قيل في التفسير سأرفع لهم القرآن عن قلوبهم وفي بعض التفاسير سأحجب قلوبهم عن الملكوت .

وقال ابن حريج سأصرفهم عن أن يتفكروا فيها ويعتبروا بها .

ولذلك قال المسيح عليه السلام إن الزرع ينبت في السهل ولا ينبت على الصفا كذلك الحكمة تعمل في قلب المتواضع ولا تعمل في قلب المتكبر ألا ترون أن من شمخ برأسه إلى السقف شجه ومن طأطاً أظلله وأكنته .

فهذا مثل ضربه للمتكبرين وأنهم كيف يحرمون الحكمة ولذلك ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم حجود الحق في حد الكبر والكشف عن حقيقته وقال من سفة الحق وغمص الناس // حديث الكبير من سفة الحق وغمص الناس أخرجه من حديث ابن مسعود في أثناء حديثه وقال بطر الحق وغمط الناس ورواه الترمذى فقال من بطر الحق وغمص الناس وقال حسن صحيح ورواه أحمد من حديث عقبة عامر بلفظ المصنف ورواه البهجهى في الشعب من حديث أبي ريحانة هكذا .
بيان المتكبر عليه ودرجاته وأقسامه وثمرات الكبر فيه .

اعلم أن المتكبر عليه هو الله تعالى أو رسله أو سائر خلقه وقد خلق الإنسان ظلوماً جهولاً فتارة يتکبر على الخلق وتارة يتکبر على الخالق فإذا ذن التكبر باعتبار المتكبر عليه ثلاثة أقسام .

الأول التكبر على الله تعالى وذلك هو أفحش أنواع الكبر ولا مثار له إلا الجهل المحمض والطغيان مثل ما كان من نمرود فإنه كان يحدث نفسه بأن يقاتل رب السماء وكما يحكى عن جماعة من الجهلة

بل ما يحكي عن كل من ادعى الربوبية مثل فرعون وغيره فإنه لتكبره قال أنا ربكم الأعلى إذ استنكف أن يكون عبدا ۚ ولذلك قال تعالى إن الذين يستكرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين وقال تعالى لن يستنكف المسيح أن يكون عبدا ۚ ولا الملائكة المقربون الآية وقال تعالى وإذا قيل لهم اسجدوا للرحمٰن قالوا وما الرحمن أنسجد لما تأمرنا وزادهم نفورا .

القسم الثاني التكبر على الرسل من حيث تعزز النفس وترفعها على الانقياد لبشر مثل سائر الناس وذلك تارة يصرف عن الفكر والاستبصار فيبقى في ظلمة الجهل بكبره فيمتنع عن الانقياد وهو ظان أنه حق فيه وتارة يمتنع مع المعرفة ولكن لا تطاوئه نفسه للانقياد للحق والتواضع للرسل كما حكى ۝ قولهم أنؤمن لبشرين مثلنا وقولهم إن أنتم إلا بشر مثلنا ولئن أطعتم بشرًا مثلكم إنكم إذا لخاسرون وقال الذين لا يرجون لقاءنا لو لا أنزل علينا الملائكة أو نرى ربنا لقد استكروا في أنفسهم وعتوا كثيرا وقالوا لو لا أنزل عليه ملك